الفصل الثالث عشر

إن الشيء الوحيد الذى ينبغى أن نخافه هو الخوف نفسه[٣٩٠]

يبدو اليمين المسيحى واثقًا بشأن الشخصيات والأحداث وتوقيت ظهورها، تلك الأمور التى سوف تؤدى للمجىء الثانى للمسيح. قدم المتأولون كل تنبؤاتهم حول الأحداث المستقبلة ودور الشخصيات المختلفة فيها بشكل مطلق التأكيد، لدرجة يبدو معها أن لديهم معرفة تامة بالمستقبل. لقد ثبت بشكل تاريخى، أن هذا المنهج ينتابه الخلل، حيث إن تنبؤاتهم فشلت فى موافقة الواقع، وهذه بعض الأمثلة على ذلك بدءًا من مؤسس البروتستانتية:

١ ـ أعلن مارتن لوثر أن الكنيسة الكاثوليكية هى المسيح الدجال[٣٩١].

٢ ـ فى وقت استقلال أمريكا، كان للأمريكيين تقليد قديم بالنظر إلى البابا بوصفه المسيح الدجال[٣٩٢](*).

٣ ـ الرسول محمد ﷺ كان يُنعت أيضًا بالمسيح الدجال[٣٩٣](**).

٤ ـ بعد تمرير قانون التمغة(***) (١٧٦٥م) السيئ السمعة قدمت القصائد والأغانى الوطنية مرتكبى الجرائم، اللوردات بوتيك وجرينفايل ونورث بوصفهم تابعى إبليس، الذين كانوا يتآمرون لإغراء الأمريكيين للدخول فى مملكة الشيطان الخالدة. وصف هذا القانون بأنه «علامة الحيوان» الذى، طبقًا لكتاب سفر الرؤيا، سوف ينقش على الملعونين فى الآخرة»[٣٩٤].

(*) لذا كان هناك عيد «يوم البابا ـ Popés Day» وهو الخامس من نوفمبر، وفيه كان المتعصبون يحرقون صور البابا ـ المترجمة.

(**) اقرأ كتاب چورج بوش: الصارد فى منتصف القرن التاسع عشر «**محمد: مؤسس الإمبراطورية الإسلامية**» ـ المترجمة.

(***) قانون بريطانى صدر عام ١٧٦٥م بفرض التمغة على المستندات القانونية وبعض المواد المطبوعة فى المستعمرات بشمال أمريكا ـ المترجمة.

٥ ـ «فى عام ١٧٧٤م أصبح الملك چورچ الثالث المسيح الدجال، حينما منح الحرية الدينية للفرنسيين الكاثوليك فى المقاطعة الكندية التى غزتها انجلترا خلال حرب السبعة أعوام»[٣٩٥].

٦ ـ لقد رأى الأصوليون مؤسسات صنع السلام مثل عصبة الأمم، والأمم المتحدة. إلخ، كشر مطلق و«... مقر المسيح الدجال، الذى قال القديس بولس عنه إنه سيكون كاذبًا مُصدقًا من الناس، وسوف يشمل الجميع بخداعه»[٣٩٦]. وعلى هذا فليس لدى الأصوليين أى تقدير للمؤسسات الدولية العاملة فى صنع السلام والساعية نحو العدالة، حيث إنهم يعتقدون أن «المسيح الدجال نفسه يمكن أن يكون أشبه بصانع سلام»[٣٩٧].

٧ ـ فى نهاية عقد الثمانينيات من القرن العشرين، تنبأ هال ليندسى ـ أحد كبار بائعى تأويل التنبؤات ـ أن رئيس المجموعة الاقتصادية الأوروبية (والتى أصبحت الآن الاتحاد الأوروبى) قد يكون هو المسيح الدجال[٣٩٨].

٨ ـ وعندما أشعلت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٨م والغزو السوفييتى لأفغانستان الحرب الباردة، أثار چيرى فالويل فى كتيبه المنشور عام ١٩٨٠م تحت عنوان «هرماجدون والحرب القادمة مع روسيا» المخاوف بقدر أكثر بدق أجراس الإنذار «... سوف يعجل الغزو الروسى لإسرائيل من الحرب النووية وحرب هرماجدون، والتى سيتم فيها تدمير العالم»[٣٩٩]. أخذًا بهذه الإشارة، اقترح پات روبرتسون الذى لم يرغب أن يتخلف عن السباق لبدء هرماجدون، فى «نشرة نادى السبعمائة» أن الحرب الهائلة سوف تنشب مع خريف عام ١٩٨٢م»[٤٠٠]. من الطريف معرفة أن العالم المسيحى عبر القرون أصبح معتادًا على مثل تلك الإنذارات الكاذبة. يمنحنا هذا الأمل والثقة فى الوصول إلى الجماهير الأمريكية والعمل معها من أجل مستقبل مشترك أفضل للجميع.

٩ ـ كان الأصوليون الأمريكيون المسيحيون على رأس المساندين لسياسة الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا. إنهم لم يدعموا فقط نظام الفصل العنصرى، ولكنهم استخدموا تأويلات ومجادلات الكتاب المقدس فى تبريره. أشار تشيدستر، لبعضها فيما يلى[٤٠١]:

(أ) «أشاد جيرى فالويل كزائر متكرر خلال عقد الثمانينيات، بجنوب أفريقيا بوصفها «دولة مسيحية»، حيث تدعم فيها حقوق الإنسان، وهو حق الذين لم يولدوا بعد؛ لأن الإجهاض كان عملاً غير قانونى».

(ب) «فى دفاعه عن نظام الفصل العنصرى، انتقد جيرى فالويل بشدة أسقف الكنيسة الأنجليكية والحائز على جائزة نوبل للسلام ديسموند توتو، والمعروف بمعاداته لنظام الفصل العنصرى، ونعته فالويل بـ «المحتال».

(ج) «طبقا لأحد المنشورات المسيحية المحافظة فى الولايات المتحدة، والتى تسمى (سجل أهداف حماية الأسرة)، جاء ما يلى: مجال القيم الأسرية التقليدية، وضعت جنوب أفريقيا أمريكا فى وضع مخز»، لأنه لا يوجد فى جنوب أفريقيا إجهاض، أو إباحية، أو مساجلات حول حقوق النساء أو فصل دستورى بين الكنيسة والدولة، أو علمانية مناصرة للمذهب الإنسانى، والتى أدت كلها - زعمًا - إلى انقراض «القيم الأسرية» المسيحية فى الولايات المتحدة».

(د) «أشاد أيضا الإنجيلى المحافظ جيمى سواجارت بجنوب أفريقيا «كدولة إلهية» تقف على الخطوط الأمامية للمعركة بين المسيح الدجال الشيوعى و«الحضارة المسيحية» الممثلة فى الأقلية البيضاء الحاكمة».

(هـ) استشهد مارتن لوثر، القس الألمانى ومؤسس الحركة الإصلاحية البروتستانتية، بالكتاب المقدس فى تدعيم مؤسسة العبودية. لقد جادل بأن «... فى الواقع، أيد الكتاب المقدس العبودية. امتلك كل البطارقة وأنبياء العهد القديم عبيدًا، كما ناشد بولس حوارى العهد الجديد العبيد بقبول وضعهم»[٤٠٢].

(و) فى مقابلة شخصية أدارتها شبكة التليفزيون الأمريكى سى. بى. إس. والمذاعة فى السادس من أكتوبر ٢٠٠٣م، فى برنامجه «٦٠ دقيقة» نعت السيد فالويل الرسول محمدًا بالإرهابى. لقد جلبت ملاحظته تلك الإدانة القوية عبر العالم وأشعلت الاعتراضات العنيفة فى بعض الدول[٤٠٣].

(ز) بعد تعليقات جيرى فالويل السابقة حول الرسول محمد ﷺ، قال بات روبرتسون متحدثًا لشبكة الإذاعة المسيحية الخاصة به، «ما يريد أن يفعله المسلمون باليهود أكثر سوءًا من المذابح الجماعية»[٤٠٤].

(ح) رافضا أن يتخلف عن سباق القدح هذا، نعت جيمى سواجارت وهو أصولى إيڤانجليكى آخر، الرسول محمداً ﷺ بأنه «منحرف جنسيّا» وطالب «بطرد» الطلاب المسلمين من الولايات المتحدة[٤٠٥].

جاء النقد اللاذع السابق من جانب السيد فالويل فيما يخص الإسلام، قُبيل انتخابات الكونجرس النصفية فى نوڤمبر عام ٢٠٠٣م بأسابيع قليلة. يعجب المرء للسبب وراء اختيار شبكة سى. بى. أس. لهذا الوقت الحساس لعقد مقابلة مع قائد معروف بكراهيته للمسلمين والإسلام. هل كان اختيار التوقيت مقصوداً منه أن يتصادف مع وقت الانتخابات لتنشيط الناخبين الأصوليين وتزويد المتطوعين والمتعاطفين مع هؤلاء المرشحين أو الجماعات بالطاقة، تلك الجماعات التى رأت الانتخابات كاستفتاء للشعب فى مسألة حرب العراق؟ قبل أن أعلق على قدح السيد فالويل، فإن المرء ليندهش بالحكمة التى يمثلها توقيت المقابلة الشخصية التى قامت بها هذه الشبكة الإخبارية الرائدة والمسئولة، والتى يرجع لها الفضل فى إفشاء قصة معتقل أبوغريب.

استجابت إدارة بوش لتعليقات فالويل من خلال إدانة من وزير الخارجية كولن پاول، ولكن هذه الإدانة جاءت فقط بعد انتخابات الكونجرس. خلق هذا التأخير انطباعًا بأن الإدارة قد باتت رهينة لبنك الأصوات الانتخابية الأصولية، حيث إن الإدانة الفورية من الإدارة كانت ستسبب خسارة الأصوات فى الانتخابات. يظهر هذا سيادة الحركة الأصولية المسيحية فى التلاعب بالنظام الديمقراطى الليبرالى للولايات المتحدة، متضمنًا ذلك وسائل إعلامه الخاصة المستقلة.

(ط) هناك شعور عام عبر العالم الإسلامى بأن الدعم غير المشروط للأصوليين المسيحيين هو الذى يقوى أكثر من سلوك المتشددين الإسرائيليين وموقفهم فى عملية السلام، وهو السبب الرئيسى وراء تقلص أى نتائج ذات مغزى وملموسة فى هذا الموضوع حتى الآن. ولسوء الحظ، ليس هناك فهم عميق [أو حتى بسيط لدى المسلمين] للأسباب التى تكمن وراء التزام الأصوليين المسيحيين بإسرائيل. فى حقيقة الأمر، يهتم الأصوليون المسيحيون (المنتمون لمرحلة ما بعد الألفية) فقط بأمر واحد:

تأسيس مملكة الله على الأرض. سيستهلها المسيح من أورشاليم عند مجيئه الثانى قرب نهاية الزمان. ولكن ذلك سيحدث فقط مع معركة هرماجدون. «... إن إسرائيل تعد مادة محفزة لأحداث نهاية الزمان» ولهذا فهم يؤمنون بأن[٤٠٦]:

١ ـ «... حتى أكثر الحروب تدميرا هى جزء من خطة الله»[٤٠٧].

٢ ـ «.. تخدم الصراعات المستمرة فى الشرق الأوسط كعلامات مؤكدة على عودة المسيح الوشيكة»[٤٠٨].

٣ ـ «حينما يتعلق الأمر بتشكيل السياسة الخارجية، فإن هؤلاء الذين ينتمون لليمين المسيحى الجديد يعتبرون الدعم الأمريكى لإسرائيل مطلبًا مطلقًا»[٤٠٩].

٤ ـ يؤمنون بأن إسرائيل سوف تعانى بشكل كبير فى معركة هرماجدون، ولكنها ستنجو «... وسوف تُسترد، حيث سيتحول اليهود المتبقون إلى المسيحية»[٤١٠].

ولهذا ففى نهاية الزمان سيعانى اليهود من خسائر ضخمة فى كل من الرجال والموارد. إن المأساة ستكون فادحة للغاية لدرجة أن اليهود، فى صراعهم للبقاء، سوف يتحولون إلى المسيحية.

٥ ـ « ولهذا، على الرغم من أن اليهود يعتبرون الشعب المختار، فإنهم يعدون أيضًا كأتباع ديانة غير مكتملة وغير مثالية، حيث إنهم يرفضون الاعتراف بعيسى على أنه المسيح[٤١١]».

يتجذر الدعم والحب الأصولى المسيحى لإسرائيل، فى اعتقاد قوى بأن اليهودية هى ديانة غير مكتملة، وأن ظروف قاسية سوف تخلق قريبًا، مما يجبر اليهود على التخلى عن ديانتهم واعتناق المسيحية.

ونتيجة لذلك، فإن انتباههم وطاقاتهم من حين لآخر ستتركز أكثر على تحديد السيناريوهات التى ستؤدى إلى احتمالات أعلى لحرب عالمية فى منطقة الشرق الأوسط أكثر من رغبتهم فى سلام دائم. حيث إنهم يعتقدون أن اليهودية هى ديانة غير مكتملة، ففى بعض المناسبات يدلون بتصريحات معادية، منها ما يلى:

١ ـ إعلان المبجَل [القس] بيلى سميث، الرئيس الأصولى لمؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، «أن الله واسع المقدرة لا يستمع لصلوات يهودى»[٤١٢].

٢ ـ قال جيرى فالويل ذات مرة إن اليهودى «يمكن أن يصنع أموالاً أكثر عن طريق المصادفة أكثر مما يمكنك أن تجمعه قصداً»[٤١٣].

٣ ـ «تذهب الخصومة أعمق من ذلك فى بعض الحالات، كاشفة عن قولبة نمطية طويلة الأمد، واستياء دينى فاسد. ولهذا يصف تيم لاهاى اليهود بأنهم قَاتلو المسيح. يكتب لاهاى (إن اليهود رفضوا ابن الله، صائحين «اصلبوه، اصلبوه! . . .»)[٤١٤].

بالنظر إلى القائمة السابقة ـ غير الشاملة ـ لشخصيات المسيح الدجال، فإن المرء يقع فى حيرة، حيث يتساءل لماذا يكون البابا أو مارتن لوثر هما المسيح الدجال، حيث إن كليهما مؤمن عظيم برسالة ومهمة المسيح. يعترف الإسلام بنبوة عيسى ورسالته وإنجيله(*)، بالولادة العذرية للمسيح. كانت هناك بالطبع أوقات متوترة بين الكاثوليك والپروتستانت، بين المسيحيين والمسلمين، وفى سخونة اللحظة قد تخرج الأشياء عن نطاقها، ولكن أن نعلن على هذا الأساس هذه الشخصيات بوصفها المسيح الدجال هو أمر لن يكون له أى تأثير سوى مساعدة قضية المسيح الدجال. إذا سمح لهذه الذهنية بأن تستمر وتنمو، إذن فمن المؤكد أن ينجم عنها نتائج غير مرغوب فيها، كما دافع عنها هنتنجتون، وكما صرح فرانكلين د. روزڤلت فى خطبة تنصيبه الأولى: «إن الشىء الوحيد الذى ينبغى أن نخافه هو الخوف ذاته»[٤١٥]. لقد كان روزڤلت يعلق على خوف أعضاء المجتمع الذين كانوا مترددين فى الإنفاق والاستثمار بسبب الخوف من الكساد العظيم الذى غمر الاقتصاد الأمريكى، وبالتالى منع الأعمال الاقتصادية للمجتمع من استغلال إمكانيات الاقتصاد الكامنة. تتكرر القصة ذاتها ثانية، ولكن هذه المرة فى سياق العلاقات القائمة بين الحضارات. بسبب بعض التجارب البغيضة، يخاف اليهود والمسيحيون والمسلمون من بعضهم البعض. هذا الخوف مع مجىء رسل الأقدار المشئومة مثل هنتنجتون من خلال نموذجه صدام الحضارات. يمثل هنتنجتون لمناخ التبادل الحضارى مثلما كان كارل ماركس يمثل لمناخ السوق. لقد تنبأ ماركس بأن اقتصاد السوق سوف ينهار بفضل صراع الطبقات ـ وفعل هنتنجتون الأمر ذاته بالحضارة الإنسانية. ولكن روزڤلت أمسك بزمام الأمور حينما قدم «اتفاقيته الجديدة»

(*) يفهم من بعض آيات القرآن الكريم أن الإنجيل لم يحفظ كما أنزل على عيسى، وتدخل فيه البشر بالحذف والإضافة، وهذا ما يقوله أيضاً علماء اللاهوت ـ المترجمة.

بالإيمان الكامل بالرغبة الإنسانية للنجاح والابتكار والعمل الجماعى من أجل دافع الربح. ربما نحتاج نحن أيضًا أن نبدأ «اتفاقية جديدة» فى العلاقات القائمة بين الحضارتين من خلال إيماننا بالرغبة الإنسانية فى السلام والازدهار والمستقبل الأفضل لأطفالنا. ولكن هل هناك من يضع التصورات مثل روزڤلت فى مراكز القوى؟ أم أن العالم يحكمه الآن أنبياء الموت مثل هنتنجتون وأسامة بن لادن وأتباعهما؟ ولهذا، فإن السؤال الماثل أمامنا اليوم هو: هل نحن مستعدون لأن نخضع للخوف من الخوف؟

إن هذا يتطلب منا أيضًا التفكير فى زعماء العالم. هل هم، مثل روزڤلت، مؤمنون بالرغبة الإنسانية فى السلام والازدهار؟ أم أنهم يؤمنون بالنظرية التى يدفع بها هنتنجتون (فى كتابه الأخير) القائلة بأن الناس يحبون أن يكرهوا الآخر؟[٤١٦].

***